

كن زاهداً

دار الغوثاني



سلسلة كُن

٩

كُن زاهداً

إعداد

السيد صقر

إشراف

عاطف عبد الرشيد



الموضوع : الآداب (القصص)
العنوان : كن زاهداً
إعداد : السيد صقر
عدد الصفحات : ١٦
قياس الصفحات : ١٤×٢٠



سورية - دمشق - حلبوني - ص.ب ٢٥٢٣٧
فاكس : ٢٤٥٤٠١٣ ١١ ٩٦٣+ هاتف ٢٤٥٣٦٣٨ ١١ ٩٦٣+
algwthani@scs-net.org

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَزَيَّنَتِ الدُّنْيا بِزَخَارِفِهَا وَمَفَاتِنِهَا التِي تُبْهِرُ العُيُونَ، والزُّهْدُ لا يَمْنَعُكَ أَنْ تَأْخُذَ مِنَ الدُّنْيا مَا يَنْفعُكَ فِي الآخِرَةِ، وَمَا يُقَرِّبُكَ مِنْ رَبِّكَ وَمَا تُظْهِرُ بِهِ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكَ. فإياكَ أَنْ تَسْتَولِيَ الدُّنْيا وَحُبُّها عَلَى قَلْبِكَ، فَتُصْبِحَ أكْبَرَ هَمِّكَ، وَأَهَمَّ أَهْدَافِكَ، فَتُضَحِّي مِنْ أَجْلِهَا بالغَالِي والنَّفِيس.

وَقَدْ حَذَّرَنَا الرَّسُولُ الكَرِيمُ ﷺ مِنْ فِتْنَة الدُّنْيَا فَقَالَ: "إِنَّ الدُّنْيا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُواْ الدُّنْيا، واتَّقوا النِّسَاءَ".

وقَالَ الشَّاعر:

لا تَأْسَفَنَّ عَلَى الدُّنْيا وَمَا فِيهَا ... فَالْمَوتُ لا شَكَّ يُفْنِينَا وَيُفْنِيهَا
النَّفْسُ تَطمَعُ فِي الدُّنْيا وَقَدْ عَلِمَتْ ... أَنَّ السَّلامَةَ فيها تَرْكُ مَا فِيهَا

والزَّاهِدُ يُحِبُّهُ اللهُ والنَّاسُ، فَالرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ: "ازْهَدْ فِي الدُّنْيا يُحِبُّكَ اللهُ، وازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ" [الحاكم وصَحَّحَهُ].

كُنْ زَاهِدًا فِي المَطْعَمِ والمَشْرَب

لاَبُدَّ للإنْسَانِ مِنْ طَعَامٍ وشَرَاب، يُقِيمُ صُلْبَهُ، ولَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يكُونَ زَاهِدًا فِيهِ مَا استَطَاعَ، فَلاَ يَأْكُلُ أَكْثَرَ مِنْ حَاجَتِهِ.

* كُنْ مُلْتَزِمًا بِالزُّهْدِ فِي المَطْعَمِ والمَشْرَبِ بِمَا يَلِي :

١ - **الاقْتِدَاءُ بِالرَّسُول** : رَسُولُ الله ﷺ هُوَ قُدْوَتُنا الخَالدةُ البَاقِيةُ، وَقَدْ كَانَ ـ صَلَواتُ الله عَلَيْهِ ـ لاَ يَأْكُلُ حَتَّى يَجُوعَ، وإِذَا أكَلَ لاَ يَشْبَعُ. قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "مَا مَلأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنه، حَسْبُ (يكْفِي) ابنِ آدَمَ لُقَيْماتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، وإِنْ كَانَ لاَبُدَّ فَاعِلاً: فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ" [التّرمذيّ].

٢ - **الاقْتِدَاءُ بالصَّحابَةِ والسَّلَفِ الصالح** : كَانَ الصَّحَابَةُ ـ رِضْوَانُ الله عَلَيْهِم ـ أَزْهَدَ النَّاسِ فِي الدُّنْيا بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ، وَمِنْ صُوَرِ زُهْدِهِم أَنَّهُم كَانُوا يَزْهَدونَ الطَّعَامَ والشَّرَابَ. يُرْوَى أَنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّاب ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ كَانَ لاَ يَعِيبُ طَعَامًا، فَقَالَ خَادِمُهُ: سأجعله يَعِيبُ الطَّعَامَ. فَقَدَّمَ لَهُ لَبَنًا حَامِضًا، فَلَمَّا قَرَّبَهُ لَهُ أَكَلَ مِنْهُ لُقْمَةً، ثُمَّ قَالَ: مَا أَطْيَبَ هَذَا مِنْ رِزْقِ الله عَزَّ وَجَلَّ. [كتاب الزُّهد].

وَيُرْوَى أنَّ عُثْمانَ بنَ عَفَّان ـ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ ـ دُعِـيَ إِلَـى وَلِيمَةٍ فِي عُرْسِ أَحَدِ المُسْلِمينَ، وكَانَ أَمِيرًا للمـؤْمِنِين فَلَبَّـى، وَلَمَّا حَضَرَهَا قَالَ: أما إِنِّي صَائِمٌ غَيْـرَ أَنِّـي أَحْبَبْـتُ أَنْ أُجِيـبَ الدَّعْوَةَ، وَأَدْعُو بِالبَرَكَةِ.

*** ثِمَارُ التمسُّكِ بِخُلُق الزُّهْدِ فِي المَطْعَم وَالمشْرَبِ :**

١ ـ **أخَفُّ النَّاسِ حِسَابًا** : الزَّاهِدُ فِي الدُّنْيَا يكُـونُ أخَـفَّ النَّاسِ حِسَابًا يَوْمَ القِيامَةِ؛ لأَنَّ الإِنْسَانَ سَيُحَاسَبُ عَلَى كُلِّ مَـا أعْطَاهُ اللهُ إيَّاهُ، وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا كالظِّلِّ وَشُرْبِ المَاءِ.

عَنْ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: "كُلُّ شَيءٍ فَضُلَ عَنْ ظِلِّ بَيْتٍ وكِسْـرِ خُبْـزٍ وثَـوْبٍ يُـوَارِي عَوْرَةَ ابْنِ آدَم، فَلَيْسَ لابْنِ آدَمَ فِيهِ حَقٌّ" [التِّرمذيّ].

٢ ـ **التّضْيِيقُ عَلَى الشَّيْطان** : الشَّيْطَانُ يُحَاوِلُ أَنْ يَنْفُذَ إِلَى الإِنْسَانِ مِنْ مَدَاخِلَ كَثِيرَةٍ مِنْهَا الطَّعَامُ والشَّرابُ؛ قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: "إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ فِي العُرُوقِ، فَضَيِّقُوا مَجَارِيَه بِالجُوعِ والعَطَشِ" [مسلم].

٣ ـ **البُعْدُ عَنِ النِّفَاق** : الْمُنَافِقُ لاَ يَزْهَدُ طَعَامًا وَلاَ شَـرَابًا، وَيَكُونُ أَكْلُهُ وَشُرْبُهُ غَيْرَ مُبارَكٍ فِيه. قَالَ ﷺ: "المُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِـي مِعًى وَاحِدٍ، والمُنَافِقُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ" [مُتَّفقٌ عليه].

كُنْ زَاهِدًا فِي المَلْبَس

يَحْتَاجُ الإِنْسَانُ مِنَ المَلْبَسِ إلى مَا يَسْتُرُ بِهِ عَوْرَتَهُ، وَيَقِيهِ حَرَارَةَ الشَّمْسِ وَبَرْدَ الشِّتَاءِ.

*** كُنْ مُلْتَزِمًا بِخُلُق الزُّهْدِ فِي الْمَلْبَسِ بِمَا يَلِي :**

١ ـ **الاقْتِدَاءُ بِالرَّسُولِ ﷺ** : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَاهِدًا فِي مَلْبَسِهِ، وَهُوَ سَيِّدُ الخَلْقِ وَقَائِدُ المُسْلِمينَ. قالَتَ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْها ـ عَنْ كِسَاءٍ ملبد وَإِزَارٍ غَلِيظٍ (أي خَشِن): قُبِضَ (تُوُفِّي) رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي هَذين. [مُتَّفقٌ عَلَيْه].

٢ ـ **عَدَمُ ارْتِداءِ الثَّوبِ الرَّقِيق** : الثِّيَابُ الرَّقِيقَةُ (الشَّفَّافَةُ)، تُشيرُ إِلَى التَّنعُّمِ وَعَدَمِ الزُّهْدِ، والمُسلِمُ الزَّاهِدُ لاَ يَرْتَدِي مِنهَا شَيئًا. خَطَبَ بِشْرُ بنُ مَروانَ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ رَقِيقَةٌ، فَقَالَ رَافِعُ بنُ خَدِيْجٍ: انْظُرُواْ إِلَى أَمِيرِكُمْ، يَعِظُ النَّاسَ وَعَلَيْهِ ثِيَابُ الفُسَّاق (العُصَاة).

٣ ـ **عَدَمُ الكِبْرِ والخُيَلاَءِ** : الكِبْرُ والخُيَلاَءُ يَدْفَعَانِ المَرْءَ إِلَى التَّبَاهِي بِالمَلْبَسِ فَلاَ يكُونُ زَاهِدًا، وَيَكُونُ جَزَاءُ ذَلِكَ حِرمَانَ المُتَنَعِّمِ فِي مَلْبَسِهِ مِنْ نَعِيمِ الآخِرَةِ. يَقُولُ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ:

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

٤ ـ التَزهُّدُ وَذِكْرُ المَوْتِ : التَّزهُّدُ يَعْنِي مُحَاوَلَة الزُّهْد، وَفِيْهِ دَافِعٌ عَلَى زُهْدِ العَبْدِ فِي مَلْبَسِه، وَذِكْرُ المَوْتِ يُخْضِعُ القَلْبَ، لأَنَّهُ يَجْعَلُ المَرْءَ رَاضٍ بِبَسَاطَةِ حَالِه، ومُمْتَنِعًا عَنِ التَّزيُّنِ بِالْمَلْبَسِ إنْ كَانَ مَيْسُورَ الحَالِ. قالَ الشَّاعِرُ ذَاكِرًا المَوْتَ:

المَوْتُ بَابٌ وكُلُّ النَّاسِ دَاخِلُهُ
يَالَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ البابِ مَا الدَّارُ؟
فَأُجيبَ: الدَّارُ جَنَّةُ عَدنٍ إنْ عَمِلْتَ بِمَا
يُرْضِي الإلَهَ، وَإنْ فَرَّطتَ فَالنَّارُ
هُمَا مَحَلاَّنِ مَا لِلنَّاسِ غَيْرُهُما
انْظُرْ لِنفْسِكَ مَاذَا أَنْت مُخْتَارُ

*** ثمار التَّمَسُّكِ بِخُلُق الزُّهْدِ فِي المَلْبَسِ :**

١- النَّجَاةُ مِنَ النَّارِ : النَّارُ تَطْلُبُ كُلَّ مُتْرَفٍ لا يبتغي من حياته غير زِينَة الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. قَالَ تَعالَى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ



ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [هود: ١٥ ـ ١٦]

٢- حُبُّ اللهِ وحُبُّ النَّاسِ: الزُّهْدُ يُورِّثُ الحُبَّ، فَهُوَ سَبَبُ مَحَبَّةِ الله تَعَالَى وَسِرُّ مَحَبَّةِ النَّاسِ. عَنْ سَهْل بْنِ سَعْدٍ السَّاعِديِّ قَالَ: أَتَى النَّبيَّ ﷺ رَجُلٌ فقَالَ: يَا رَسُولَ الله، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللهُ وأَحَبَّنِي النَّاسُ: فَقَال لَهُ النَّبيُّ ﷺ: "ازْهَد فِي الدُّنْيا يُحِبّكَ اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبّكَ النَّاسُ" [ابنُ مَاجَه].

٣ ـ الاقْتِدَاءُ بِالصَّحابَة: إنَ صَحَابَةَ رَسُولِ الله ﷺ أزْهَدُ النَّاسِ فِي مَلْبَسِهِم. وقد حدث أنَّ رجلاً عَاتَبَ عَلِيَّ بنَ أبي طالبٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْه ـ فَقَالَ: مَا يَمْنَعُكَ أنْ تَلْبَسَ؟! فقَالَ: إنَّ لَبُوسِي (ثِيابي) هَذَا أبْعَدُ مِنَ الكِبْرِ وَأجْدَرُ (أَوْلَى) أنْ يَقْتَدِيَ بِهِ المُسْلِمُ. [كتاب الزُّهد].

كُنْ زَاهِدًا فِي المالِ والجَاه

المَالُ الكَثِير يُغْرِي بِظلْمِ النَّاسِ وعِصْيَانِ الله تَعَالَى، وَمَنْ لاَ يَزْهَدُ المالَ والجَاهَ والسُّلْطَةَ إنَّما يَسْعَى إِلَى العَذَابِ والهَلاكِ.

* كُنْ مُلْتَزِمًا بِخُلُق الزُّهْدِ فِي المال والجاه بِمَا يَلِي :

١ - الاقْتِدَاءُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ : لَوْ أَرَادَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُحَوِّلَ لَهُ رَبُّهُ جِبَالَ مَكَّةَ ذَهَبًا وَفِضةً لَكَانَ لَهُ ذَلِكَ، ولَكِنَّهُ رَفَضَ ذَلِكَ؛ لأَنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَا يَسُرُّنِي (يُسْعِدنِي) أَنَّ عِنْدِي مِثْلَ أُحُد (جَبَلِ أُحُد) هَذَا ذَهَبًا، تَمْضِي عَلَيَّ ثَلاثَةُ أَيَّامٍ وعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ، إلاَّ شَيء أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ، إلاَّ أَنْ أَقُولَ (أَفْعَلَ) بِهِ فِي عِبَادِ اللهِ هكَذَا وَهكَذَا وَهكَذَا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمِنْ خَلْفِهِ (يَعْنِي يُوَزِّعُهُ وَيُنْفِقُهُ).

٢ ـ الاقْتِداءُ بالصَّحابَةِ ـ رِضْوانُ اللهِ عَلَيْهِم ـ: تَعَلَّمَ الصَّحابَةُ الزُّهْدَ فِي المَالِ والجَاهِ منْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَيُروَى أَنَّ عُثْمانَ بنَ عَفَّانَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ كَانَ يُنْفِقُ مَالَهُ وَيُوَزِّعُهُ كُلَّهُ ثُمَّ يَرُشُّ المَاءَ مَكَانَهُ وَيُصَلِّي فِيهِ رَكْعَتَيْن. وَيُرْوَى أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِيقَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْه ـ أَتَى إِلَى النَّبيِّ بِجَمِيعِ مَالِهِ، فَقَالَ لَهُ ﷺ: "مَا تَرَكْتَ لِعِيالِكَ؟ قَالَ: تَرَكْتُ لَهُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ. [التِرمِذِي].

يَقُولُ الشَّاعِرُ:

فَتَشَبَّهُوا إِنْ لَمْ تَكُونُوا مِثْلَهُم

إِنَّ التَّشَبُّهَ بِالرِّجَالِ فَلاحُ

٣ ـ **عَدَمُ طَلَبِ السُّلْطَةِ** : الرَّاغِبُ فِي المَنْصِبِ والسُّلْطَةِ غَيرُ زَاهِدٍ فِي الدُّنْيَا وَمُنْخَدِعٌ بِمَتَاعِهَا الزَّائِلِ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " لاَ تَسأَلِ الإمَارَةَ (لاَ تَطْلُبِ الحُكْمَ والسُّلْطَةَ)، فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ (طَلَبٍ) وُكِلْتَ إِلَيْها، وَإِنْ أُعْطِيتَها عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْها" [البخاري].

٤ ـ **طَلَبُ الآخِرَةِ** : إذَا مَا عَمِلَ المُسْلِمُ لآخِرَتِهِ، زَهِدَ فِي الدُّنْيَا بِأَمْوالِهَا وَجَاهِهَا وَسُلْطانها. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "لَمَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيا وَمَا فِيها، وَلَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيا وَمَا فِيْهَا" [البُخارِيّ].

وقَالَ ﷺ لِعَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ: "كُنْ فِي الدُّنْيا كَأَنَّكَ غَرِيْبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ" [البُخارِيّ]. وقَالَ أَيْضًا: "لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ" [البخاري]. وَالمقْصُودُ بِكَثْرةِ العَرَضِ كَثْرَةُ المَالِ.

*** ثمار التمسُّك بالزهْدِ فِي المَالِ والجَاهِ :**

١ ـ **حُبُّ النَّاسِ** : مَنْ يَزْهَدُ فِي الْمَالِ والسُّلْطَةِ والْجَاه، فإنه يحوز عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ وَ أَبْقَى، ألاَ وَهُوَ حُبُّ النَّاسِ وَمَوَدَّتُهم. يَقُولُ الشَّاعِرُ:

كُنْ زَاهِدًا فِيمَا حَوَتْ أَيْدِي الوَرَى

تَضْـحَى إِلَـى كُـلِّ الأَنَـامِ مُحَبَّبَـا

وَإِذَا أَحَبَّكَ النَّاسُ، فَإِنَّهُم يَشْهَدُونَ لَكَ، وَيُثْنُـونَ عَلَيْـكَ عِنْدَ مَوْتِكَ، فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا فِي دُخُولِكَ الجَنَّةَ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " أَيُّما مُسْلِمٍ شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَـةٌ بِخَيْـرٍ أَدْخَلَـهُ اللهُ الجَنَّةَ". فَقُلْنَا: وَثَلاثَةٌ؟ قَالَ: "وَثَلاثَةٌ". فَقُلْنَا: وَاثْنَـان؟ قَـالَ: "واثْنَانِ"، وَلَمْ نَسْأَلْهُ عَنِ الوَاحِدِ. [البُخارِيّ].

٢ ـ ثَوابُ الآخِرَةِ : أَخْبَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّ أَكْثَـرَ النَّـاسِ حَظًّا مِنَ الدُّنْيا هُمْ أَقَلُّ النَّاسِ ثَوابًا فِي الآخِرَةِ. قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: "إِنَّ الأَكْثَرِينَ هُمُ المُقِلُّونَ يَوْمَ القِيَامَةِ" [البُخارِيّ].

٣ ـ غِنَى القَلْبِ : لَيْسَ الغَنِيُّ فِي الدُّنْيا مَنْ كَثُرَ مَالُهُ وعَلا سُلْطَانُهُ، وَإِنَّما الغَنِيُّ مَنْ قَنَعَ بِالقَلِيلِ فَاطْمَأَنَّ قَلْبُهُ وَأَصْبَحَ غَنِيًّـا بِالسَّكِينَةِ والطُّمأنِينَةِ. عَنْ أَبِـي ذَرٍّ الغِفَـارِيِّ ـ رَضِـيَ اللهُ عَنْـه ـ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ:" يَا أَبَا ذَرٍّ، أَتَرَى كَثْـرَةَ المَـالِ هُـوَ الغِنَى؟". قُلْتُ: نَعَـمْ يَـا رَسُـولَ اللهِ. قَـالَ: "إِنَّمَـا الغِنَـى غِنَـى القَلْبِ، والفَقْرُ فَقْرُ القَلْبِ" [البُخارِيّ].

٤ ـ حِفْظُ الدِّينِ : عَدَمُ الزُّهْدِ فِي المَالِ يُفْسِدُ الدِّينَ عَلَى صَاحِبِهِ مِمَّا يُرَتِّبُ خَسَارَةَ الدُّنْيا والآخِرَةَ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَا ذِئْبَانِ ضَارِيَان (قَوِيَّانِ) جَائِعَانِ بَاتَا فِي زَرِيبَةِ غَنَمٍ أَغْفَلَهَا أَهْلُهَا (نَسُوا رِعَايَتَها وَحِرَاسَتَها) يَفْتَرِسَانِ وَيَأْكُلاَنِ بِأَسْرَعَ فِيهَا فَسَادًا مِنْ حُبِّ المَالِ والشَّرَفِ فِي دِينِ المَرْءِ المُسْلِمِ" [التِّرمِذِيُّ].

٥ ـ الخَيرُ فِي القَلِيلِ : القَلِيلُ الحَلاَلُ مِنَ الدُّنْيا يَكْفِي صَاحِبَهُ عَنِ الحَرَامِ، فَالمَالُ الكَثِيرُ يُلْهِي صَاحِبَهُ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ، فَلاَ يُحْسِنُ شُكْرَ مَالِه. عنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْه ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَا طَلعَتْ شَمْسٌ قَطّ إِلاَّ بَعَثَ اللهُ مَلَكَيْنِ يُنَادِيَانِ: يُسمعَانِ أَهْلَ الأَرْضِ إِلاَّ الثَّقَلَيْنِ (الجِنَّ والإِنْسَ): يَا أَيُّها النَّاسُ هَلُمُّوا (تَعالَوْا) إِلَى رَبِّكُمْ فَإِنَّ مَا قَلَّ وكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَى" [ابنُ حِبَّان].

كُنْ زَاهِدًا فِي الكَلاَمِ

المُسْلِمُ لاَ يَنطِقُ لِسَانُهُ إِلاَّ بِالْخَيرِ، فَهُوَ يَتْرُكُ اللَّغْوَ الَّذِي لاَ فَائِدَةَ فِيهِ.

*** كُنْ مُلْتَزِمًا بِخُلُق الزُّهْدِ فِي الكَلاَمِ بِمَا يَلِي :**

١ - قَوْلُ الخَيرِ : مَنْ يَرْجُو رِضَا اللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ لاَ يَنْطقُ

لِسَانُهُ إلا بِالْخَيرِ. قَـالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: "مَـنْ كَـانَ يُـؤمِنُ بِـاللهِ والْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيرًا أو لِيَصْمُت (يسكُت)" [مُتَّفقٌ عليه].

٢- مُطَابقةُ القَوْلِ لِلْعَمَلِ : مِنَ الزُّهْدِ فِي الكَلاَمِ أَنْ يُطابِقَ قَوْلُ المَرْءِ لِعَمَلِهِ وَفِعْلِهِ؛ بِحَيْثُ لاَ يَقُولُ مَا لاَ يَفْعَلُ. يَقُولُ الشَّاعِرُ:

لا تَنْـهَ عَـنْ خُلُـقٍ وَتَـأتِيَ مِثْلَـهُ
عَـارٌ عَلَيْـكَ إِذَا فَعَلْـتَ عَظِـيمُ
ابْـدَأْ بِنَفْسِـكَ فَانْهَـا عَـنْ غيِّهـا
فَـإِذَا انْتَهـتْ عَنْـهُ فأَنْـتَ حكِـيمُ
فَهُنَـاكَ يُقْبَـلُ إِنْ وَعَظْـتَ وَيُقْتَـدَى
بِـالْقَوْلِ مِنْـكَ، وَيَنْفَـعُ التَّعْلِـيمُ

٣- عَدَمُ قَوْلِ مَـا يُعْتَـذَرُ عَنْـهُ: عَلَـى المُسْلِمِ أَنْ يُرَاجِـعَ قَولَهُ، فَلاَ يَقُولُ مَا يَعْتَذرُ عَنْهُ. جاءَ رَجُـلٌ إِلَـى رَسُـولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَـا رَسُـولَ اللهِ عَلِّمْنِـي فَـأَوْجِز. فَقَـالَ: " إِذَا قُمْـتَ إِلَـى الصَّلاَةِ، فَصَلِّ صَلاَةَ مُوَدِّعٍ (كأَنَّها آخِرُ صَلاَةٍ تُوَدِّعُ بِهَا الدُّنْيَا)، وَلاَ تَكَلَّمْ (تَتكَلَّمْ) بِكَلاَمٍ يُعْتَذَرُ مِنْـهُ (يَحتَـاجُ إِلَـى اعْتِـذَارٍ) " [ابنُ مَاجَه].

* **ثمار التمسك بِخُلُق الزُّهْدِ فِي الكَلاَمِ :**

١- **النَّجاةُ فِي الآخِرَةِ :** الزَاهد فِي قَوْله وكَلامِه ينجو مِنْ أهْوَالِ يَوْمِ القِيَامَةِ، فَهو يعلم أن كُلَّ مَا يَقُولُـهُ يُحَاسَـبُ عَلَيْـهِ. يَقُولُ تَعَالَى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨].

٢- **حُبُّ النَّاسِ واحْتِرَامُهُم :** يَنَالُ الزَّاهِدُ فِي قَوْلِـهِ حُـبَّ النَّاسِ واحْتِرَامَهُم، وَيَزْدَادُ قدْرُهُ بَيْنَهُم وَيَعْلُو شأنهُ فِيهِم.

لاَ تَكُنْ رَاغِبًا فِي الدنيا

الرَّغْبَةُ فِي الدُّنْيا تُضَادُّ الزُّهْدَ فِيهَا، فَالرَّغْبَةُ فِي الدُّنْيا تَعْنِي الطَّمَعَ فِي مَتَاعِهَا الزَّائِلِ، وَطَلَبَ المَزِيدِ مِنْ مَفَاتِنِها الفَانِيَةِ.

١ ـ **تَنَافُسُ الدُّنْيا :** حَذَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الطَّمَعِ والرَّغْبَةِ فِي الدُّنْيا، فَقَالَ ﷺ: "فوالله مَا أخْشَى عَلَيكُمُ الفَقْرَ، ولَكِنِّي أخْشَى عَلَيكُمْ أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيا عَلَيكُم كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، فَتُهْلِكَكُم كَمَا أهْلَكَتْهُم" [البُخارِي].

٢ ـ **جَزَاءُ قَارُونَ :** استَوْلَى حُبُّ المَالِ عَلَى قَارُونَ، وَلَمْ يَقْنَعْ بِمَا رَزَقَهُ اللهُ بِهِ، وَادَّعَى أَنَّ هذَا الْمَالَ قَدْ مُنِحَ لَهُ عَنْ

عِلْمِهِ وَلَيْسَ عَنْ رِزْقِ اللهِ، فَـابْتَلاَهُ اللهُ وأَهْلَكَـهُ وأَذْهَـبَ مَالَـهُ. يَقُولُ تَعَالَى عَنْ قَارُونَ: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١].

٣ ـ **يُؤثِرونَ الدُّنْيا**: الرَّاغِبُونَ فِي الـدُّنْيا يُفَضِّـلُونَها عَلَـى الآخِرَةِ، وَبِئْسَ مَا يَصْنَعُونَ. يَقُولُ تَعَـالَى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعْلَى: ١٦ ـ ١٧].

٤ ـ **غُرورُ الدُّنْيا**: بَيَّنَ لَنَـا الإِمَـامُ الشَّـافِعِيُّ حَقِيقَـة الـدُّنْيا فَقَالَ:

وَمَـنْ يَـذُقِ الـدُّنْيا فَـإِنِّي طَعِمْتُهـا
وَسِـيقَ إِلَـيَّ عَـذْبُها وَعَـذَابُها
فَلَـمْ أَرَهَـا إِلاَّ غُـرُورًا وَبَـاطِلاً
كَمَا لاَحَ فِي ظُهـرِ الفَـلاَةِ سَـرَابُها

وَظُهْر الفَلاة: الصَّحْراءُ وَقْتَ الظُّهْرِ وَشِدَّة الحَرِّ.

اِعْرِفْ نَفْسَكَ.. هل أنت زاهد؟

المُسْلِمُ يصارحُ نَفْسَهُ بِحَقِيقَةِ أَمْرِهِ كَي يُعَدِّلَ مِنْ شَأْنِهِ مَـا استَطاعَ. وفيما يلي نتيح لـك الفرصـة للتعـرف علـى حقيقـة

نفسك من خلال الإجابة الصادقة عن الأسئلة التالية:

١- هَلْ يَعْنِي الزُّهْدُ عُزُوفُ المَرْءِ عَنِ الدُّنْيَا؟

٢- كَيْفَ تَقْتَدِي بالرَّسُولِ وَصَحَابَتِهِ فِي خُلُق الزُّهْدِ؟

٣- كَيْفَ تُضَيِّقُ مَجَارِي الشَّيْطَانِ فيكَ؟

٤- هَلْ يَجُوزُ ارْتِدَاء الثَّوبِ الرَّقِيقِ؟

٥- هَلْ مِنَ الكِبرِ أَنْ يكُونَ المَرءُ مُتْرَفَ الثِّيابِ؟

٦- هَلْ تُحاوِلُ التَّزهُّدَ؟

٧- هَلْ تَذَكُّرُ المَوْتِ يُعِينُ عَلَى الزُّهد؟

٨- هَلْ يَجُوزُ لِلمُسْلِمِ السَّعْيُ وَرَاءَ السُّلْطَةِ وَطَلَبهَا؟

٩- مَا هُوَ الغِنَى الْحَقِيقيُّ؟

١٠- كَيْفَ تكُونُ زَاهِدًا فِي الكَلَامِ؟

* * *

سلسلة كن

٨١٠٠٥٤